﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: 77]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر الله تعالى أوَّلًا أباطيل النَّصارى، وأقام الدَّليل القاهر على بطلانها وفسادها؛ عند ذلك خاطبَ مجموع الفريقَيْنِ بهذا الخطاب، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، والغلوُّ نقيضُ التَّقصير، ومعناه: الخروج عن الحدِّ؛ لأنَّ الحقَّ بين طرفي الإفراط والتَّفريط، ودين الله بين الغلوِّ والتَّقصير، فنُهِيَ أهل الكتاب عن الغُلوِّ في الدِّين غلوًّا غيرَ الحقِّ، أي: غلوًّا باطلًا؛ إذ الغلوُّ في الدِّين نوعان: غلوٌّ حقٌّ: وهو أن يُبالغ في تقريره وتأكيده، وغلوٌّ باطلٌ: وهو أن يتكلَّف في تقرير الشُّبه وإخفاء الأدلَّة، وذلك الغلوُّ هو أنَّ اليهود – لعنهم اللهُ – نسبُوا عيسى ﷺ إلى الزِّنى، وإلى الكذِبِ، والنَّصارى ادَّعوا فيهِ الإلهيَّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَغْلُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بلا النَّاهية، وأصل مادَّته: (غلو/ي)، فالغَيْنُ وَاللَّامُ وَالحَرْفُ المُعْتَلُّ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَمُجَاوَزَةِ قَدْرٍ، يُقَالُ: غَلَا السِّعْرُ يَغْلُو غَلَاءً، وَذَلِكَ ارْتِفَاعُهُ، وَغَلَا الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ غُلُوًّا؛ إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ، وَغَلَا بِسَهْمِهِ غَلْوًا؛ إِذَا رَمَى بِهِ سَهْمًا أَقْصَى غَايَتِهِ[2]، وغلا السِّعْر يغلُو غلاءً – بالمدِّ – وغلا النَّاسُ في الأمر، أَيْ: جَاوزوا حدَّه، كغلوّ اليهودِ في دينها[3]، والغُلُوُّ: الِارْتفَاع فِي الشَّيْء ومجاوزة الحدِّ فِيهِ، وَمِنْه قَوْله جلَّ وعزَّ: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾، أَي: لَا تجاوزوا الْمِقْدَار[4]، وغلا في الدِّين غُلوًّا؛ إذا جاوزَ

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/53.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلوي).
(3) الخليل، العين: (غلو).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (غلو).

الحدَّ[1]، والغُلُوُّ في الدِّين - أيضًا - التَشَدُّد فيه، ومُجَاوَزَة الحَدِّ بالتَّنطُّع في البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عِلَلها وغوامض مُتَعَبَّداتها[2]، وهو الوصف المناسب والملازم لِلْيَهود.

2) ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الطَّريقُ، وجذره (سبل)، والسِّين والباء واللَّام أصلٌ واحد يدلُّ على: إرسالِ شيءٍ من عُلوٍّ إلى سُفل، وعلى امتداد شيء[3]، والسَّبيلُ: يذكَّرُ، ويؤنَّثُ[4]، والسَّبيلُ: الطَّريق الذي فيه سهولة، وجمعه: سبلٌ[5]، والسَّبيلُ: الطَّريقُ وما وضُحَ مِنْهُ، وسَبيلُ اللّه: طريقُ الهدى الَّذي دعَا إليه[6]، وسبيلُ اللّه: كلُّ سَبِيل أُريدَ بِهِ اللّه - جلَّ وعزَّ - وَفِيه بِرٌّ[7]، والسَّبيل هنا: طريق الحقِّ[8]، وكلُّ تركيبٍ فيه: (ضَلَّ السَّبيل) أو (سَواءُ السَّبيلِ) أو (عنه) فيهما؛ فالمقصود: سَبِيل الرُّشد والإيمان، أي: هو ضدُّ الاهتداء[9].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قُلْ - أيُّها الرَّسول ﷺ - للنَّصارى: لا تتجاوزوا الحدَّ فيما أمِرْتُمْ به مِن اتِّباع الحقِّ، ولا تبالغوا في تعظيم مَنْ أُمِرْتُمْ بتعظيمه، مثل: الأنبياء، فتعتقدوا فيهم الألوهيَّة، كما فعلتُمْ بعِيسَى ابن مريمَ، بسبب اقتدائكم بأسلافكم من أهل الضَّلال الَّذين أضلُّوا كثيرًا مِنَ النَّاس، وضلُّوا عن طريق الحقِّ[10].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ **وَقَوْلِهِ:** ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾:

قول اللّه ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: خاطب فيه أهلَ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (غلا).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلا).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(4) الخليل، العين: (سبل).
(5) الراغب، المفردات: (سبل).
(6) ابن سيده، المحكم: (سبل).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (سبل).
(8) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/187.
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ضلل).
(10) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 120.

الكتاب بالنَّهي عن الغلوِّ في الدِّين، ولم يُخاطب أهل الشِّرك بذلك فيما خاطب بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾؛ وذلك أنَّ أهل الكتاب ادَّعوا: أنَّهم على دين الأنبياء والرُّسل الذين كانوا من قبل، فنهاهم الله - ﷻ - عن الغلوِّ في الدِّين، والغلوُّ: هو المجاوزة في الحدِّ، والإفراط فيهِ والتَّعمُّق؛ فكأنَّه قال: لا تجاوزوا في الدِّين الحدَّ الذي حدَّ فيه بنسبة الألوهيَّة والرُّبوبيَّة إلى غير الله والعبادة له، وأمَّا أهل الشِّرك: فإنَّهم يعبدون ما يستحسنون، ويتركون ما يستقبحون، ليس لهم دين يدينون به، وأمَّا هَؤُلَاءِ: فإنَّهم يَدَّعُون أنَّهم على دين الأنبياء والرُّسل؛ لذلك خرج الخطابُ لَهُمْ بذلك[1].

مُـرَاعَـاةُ وَاقِـعِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْخِطَابِ:

دِلَالَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

ما تقدَّم من الآياتِ كان في خصوصِ النَّصارَى، ثُمَّ عُمِّمَ الخطابُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لِفَرِيقَيْ أهل الكتاب بضَرْبٍ مِنْ ضروبِ الالْتِفَاتِ على لسان النَّبيِّ ﷺ بعدَ إبطال مسلَك كُلٍّ مِنْهُمَا، لِلْمُبَالغة في زَجْرِهِم عمَّا سلكوه مِنَ المَسْلَكِ الباطلِ، وإرشادهم إلى الأمم المنشأة، ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحدَّ، وهو نهي للنَّصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرِّسالة إلى ما تقوَّلوا في حقِّه من القولَةِ العَظِيمة، ولليهود عن وضْعِهم له عليه السلام عن رتبته العليَّة إلى ما تقوَّلوا عليه من الكلمة الشَّنعاء.

النَّهْيُ عَنِ الْغُلُوِّ يَشْمَلُ الْغُلُوَّ إِفْرَاطًا وَالْغُلُوَّ تَفْرِيطًا

ويَحتمِلُ أن يكون الخطابُ خاصًّا بالنَّصارى، كما في سورة النِّساء، فذكَّرَهم اللهُ تعالَى بعنوان أهليَّة الكتاب؛ لتَذْكِيرِهم أنَّ الإنجيل - أيضًا- ينهاهم عن الغلوِّ[2]، فيكون في قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مجازٌ مرسلٌ، علاقته العموميَّةُ؛ إذْ أُطْلِقَ العامُّ وأُرِيدَ به

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 3/569.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/68 - 69.

الخاصُّ، وذلك أنَّ ﴿يَٰٓأَهۡلَ﴾ مفردٌ مضافٌ فيعمُّ، والمرادُ: خصوصُ النَّصارَى بقرينَةِ السِّبَاقِ.

تَعَدُّدُ الْمَعَانِي بِاخْتِلَافِ تَعْيِينِ وَجْهِ النَّصْبِ فِي ﴿غَيۡرَ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾:

فِي انْتِصَابِ ﴿غَيۡرَ﴾ من قولِه تعالى: ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ وجهانِ:

إِذَا أُرِيدَ بِالْغُلُوِّ فِي الْحَقِّ الثَّبَاتُ عَلَيْهِ وَلُزُومُهُ فَهُوَ مَحْمُودٌ

أحدُهُما: أنَّ انتصابَهُ على الحال والقطعِ مِن الدِّين، كأنَّه قال: لا تغلوا في دينكم مخالفًا للحقِّ؛ لأنَّهم خالفوا الحقَّ في دينهم، ثُمَّ غَلَوْا فيه بالإصرار عليه.

والآخَرُ: أن يكون منصوبًا على الاستثناء، بمعنى: لا تغلوا في دينكم إلَّا الحقَّ، فيكون الحقُّ مستثنى من المنهيِّ عن الغلوِّ فيه؛ بأَنْ يَجُوز الغلوُّ فيما هو حقٌّ، على معنى: اتِّباعه والثَّبات عليه[1].

وثَمَّ وجه ثالث في إعراب ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾، وهو أن يكون منصوبًا بإضمار: ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾، كقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: 171][2].

وفي انْتِصَابِ ﴿غَيۡرَ﴾ وجهٌ رابع: حكاه أبو حيَّان؛ إذ قال: "وَانْتِصَابُ ﴿غَيۡرَ﴾ هُنَا عَلَى الصِّفَةِ، أَيْ: غُلُوًّا غَيْرَ الْحَقِّ، وَأَبْعَدَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا اسْتِثْنَاءٌ، وَيُقَدِّرُهُ: لَكِنَّ الْحَقَّ، فَاتَّبِعُوهُ"[3].

بَلَاغَةُ الِاحْتِرَاسِ فِي تَقْيِيدِ ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾:

الْمُبَالَغَةُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ لَيْسَ مَنْهِيًّا عَنْهُ

لَمَّا كان الغلوُّ ربَّما أُطْلِق على شدَّة الفحص عن الحقائق واستنباط الخفيِّ مِنَ الأحكام والدَّقائق من خبايا النُّصوص؛ نُفِيَ ذلك بقولِه: ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾، فيكونُ القَيْدُ مِنْ بابِ الاحتراسِ؛ لئلَّا يُتوهَّمَ من

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 7/478.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 5/414.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 4/335.

الكلام ما ليسَ بمرادٍ، وليُفِيد أنَّ المبالغة في الحقِّ غيرُ منهيٍّ عنها، وإنَّما المنهيُّ عنه تجاوز دائرة الحقِّ بكمالها[1].

نُكْتَةُ الْعُدُولِ عَنْ وَصْفِ الْغُلُوِّ بِصَرِيحِ الْبُطْلَانِ إِلَى وَصْفِهِ بِـ: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾:

قَوْلُهُ: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى النِّيَابَةِ عَنْ مَفْعُولٍ مُطْلَقٍ لِفِعْلِ ﴿تَغْلُواْ﴾، أَيْ: غُلُوًّا غَيْرَ الْحَقِّ، وَغَيْرُ الْحَقِّ هُوَ الْبَاطِلُ، وَعَدَلَ عَنْ أَنْ يُقَالَ: (بَاطِلًا) إِلَى ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؛ لِمَا فِي وَصْفِ ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ مِنْ تَشْنِيعِ الْمَوْصُوفِ، وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَقِّ الْمَعْرُوفِ، فَهُوَ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ مَحْمُودٌ، فَغَيْرُهُ مَذْمُومٌ، وَأُرِيدَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلصَّوَابِ؛ احْتِرَازًا عَنِ الْغُلُوِّ الَّذِي لَا ضَيْرَ فِيهِ، مِثْلَ الْمُبَالَغَةِ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ غَيْرِ تَجَاوُزٍ لِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ، وَمِنْ غُلُوِّ النَّصَارَى: دَعْوَى إِلَهِيَّةِ عِيسَى، وتكذيبهم مُحَمَّدًا ﷺ وَمِنَ الْغُلُوِّ الَّذِي لَيْسَ بَاطِلًا: مَا هُوَ مِثْلُ الزِّيَادَةِ فِي الْوُضُوءِ عَلَى ثَلَاثِ غَسَلَاتٍ؛ فَإِنَّهُ مَكْرُوهٌ عند جماعةٍ من العلماء[2].

الْمُبَالَغَةُ فِي تَشْنِيعِ الْغُلُوِّ؛ تَنْفِيرًا لِلنَّاسِ مِنْهُ

دِلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿ٱلْحَقِّ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾:

عُرِّفَ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ باللَّام لقصد ضَرْبٍ من ضُرُوبِ الحَقِّ، فاللَّامُ للعهدِ العِلْمِيِّ، ولو نُكِّرَ؛ لكان مَن جاوز حقًّا إلى غيره واقعًا في النَّهي، كما جاوز الاجتهاد في الصَّلاة النَّافلة إلى الجدِّ في العلم النَّافع، ولو عُبِّر بـ: (باطلًا) بدلَ ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؛ لأوهم أنَّ المنهيَّ عنه المبالغة في الباطل، لا أصله ومطلقه[3].

لَيْسَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ حَقًّا؛ يَكُونُ وَاقِعًا فِي النَّهْيِ

سِرُّ جَمْعِ (هَوًى) عَلَى ﴿أَهْوَآءَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾:

إِنَّما جُمع لفظُ (هَوى) على ﴿أَهْوَآءَ﴾ في قولِه تَعَالَى: ﴿وَلَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/517.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/290.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 2/517.

﴿تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾؛ تنبيهًا على كثرةِ الأهواءِ فيهم وتنوُّعها، وأنَّهم متفاوتون في الباطِلِ[1].

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿قَوْمٍ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾:

حَقَارَةُ الْمُتَأَصِّلِ فِي الْهَوَى حَتَّى صَارَ قُدْوَةً فِيهِ

نُكِّر لفظُ ﴿قَوْمٍ﴾ من قولِه تعالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ تحقيرًا لهم وحطًّا من شأنهم[2]، ويؤيِّدُهُ إضافةُ الأهواءِ إليهم؛ فإنَّ في هذه الإضافةِ تحقيرًا للمضافِ إليه.

نُكْتَةُ تَكْرَارِ الْفِعْلِ ﴿ضَلُّواْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

مِنْ أَقْبَحِ أَنْوَاعِ الضَّلَالِ أَنْ يَضِلَّ الْمَرْءُ فِي نَفْسِهِ وَيَسْعَى فِي إِضْلَالِ غَيْرِهِ

كُرِّر الفعل ﴿ضَلُّواْ﴾ لأوجه:

الأوَّل: أنَّه أراد قد ضلُّوا عن سواء السَّبيل، فلمَّا فصَلَ بيْنَهُ وبينَ ما يتعلَّق به؛ أُعيد ذِكْرُهُ، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾، فقد أعاد قوله: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم﴾.

الثَّاني: أنَّه أُريد ضلُّوا، وأضَلُّوا عن سواء السَّبيل، ضلُّوا كون ذلك تَبْيِينًا لما ضلُّوا عنه.

والثَّالث: أنَّ الإشارة بقوله: ﴿ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ إلى ضلالهم في شريعتهم قبل إتيان نبيِّنا ﷺ وبقوله: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ إلى ما أتى به النَّبيُّ ﷺ.

والرَّابع: أنَّ الإنسان قد يعتقد أن يُضِلَّ غيرَه، وهو ضالٌّ بذلك، فبيَّن الله تعالى أنَّ هؤلاء ضلُّوا في أنفسهم، وضلُّوا بإضلالهم غيرَهم؛ إشارةً إلى نحوِ قوله: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾[3].

(1) الراغب، تفسير الراغب: 5/415.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/336.
(3) الراغب، تفسير الراغب: 5/415 - 416.

الضَّلَالُ وَالْإِضْلَالُ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ:

الضَّلَالُ دَرَكَاتٌ بَعْضُهَا أَقْبَحُ مِنْ بَعْضٍ

قوله تعالى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ، أَيْ: بِالْإِضْلَالِ، فَالضَّلَالُ الْأَوَّلُ مِنَ الضَّلَالَةِ، والآخر: بِإِضْلَالِ مَنِ اتَّبَعَهُمْ[1]، وقد وصفهم الله تعالى بثلاث درجاتٍ في الضَّلال، فقد بيَّن أنَّهم كانوا ضالِّين من قبل، ثمَّ ذكر أنَّهم كانوا مُضِلِّين غَيْرَهُم، ثُمَّ ذكر أنَّهم استمرُّوا على تلك الحالِ، حتَّى إنَّهم الآن ضالُّون كما كانوا، ولا نَجِدُ حالًا أقربَ إلى البُعْدِ مِنَ الله، والقرب مِن عقاب الله تعالى مِن هذه الحالِ، نعوذُ بالله منها[2].

فِي تَعَدُّدِ دِلَالَاتِ اللَّفْظِ إِثْرَاءٌ لِلْمَعَانِي الْقُرْآنِيَّةِ

ويَحْتَمِل أن يكون المراد: أنَّهم ضلُّوا، وأضلُّوا، ثمَّ ضلُّوا بسبب اعتقادهم في ذلك الإضلال: أنَّه إرشاد إلى الحقِّ، ويجوزُ أن يكون المرادُ بالضَّلال الأوَّل: الضَّلال عن الدِّين، وبالضَّلال الآخر: الضَّلال عن طريق الجنَّة[3].

دِلَالَةُ تَكْرَارِ مَادَّةِ (الضَّلَالِ) فِي الْآيَةِ:

النَّصَارَى أَخَصُّ بِالضَّلَالِ مِنَ الْيَهُودِ

تكرارُ ذِكْرِ ضَلال النَّصارى يُفيدُ أنَّهُم ضلُّوا ضلالًا بعد ضلَالٍ؛ وذلك لِفَرْطِ جَهْلِهِم بالحقِّ، ولهذا كان النَّصارى أخصَّ بالضَّلال من اليهود.

ووجهُ تَكْرَارِ هذا الضَّلالِ أيضًا: أنَّ الضَّالَّ قد أخطأ نفسَ مقصودِه، فيكون ضالًّا فيه، فيقصد ما لا ينبغي أن يقصدَه، ويعبد مَن لا ينبغي أن يعبدَه، وقد يصيب مقصودًا حقًّا، لكن يضِلُّ في طريق طلبِه والسَّبيل الموصلة إليه، فالأوَّل: ضلالٌ في الغَايَةِ، والآخر: ضلالٌ في الوسيلة، ثُمَّ إذا دعا غيرَه إلى ذلك؛ فقد أضلَّه.

وأسلاف النَّصارى اجتمعت لهم الأنواعُ الثَّلاثة، فضلُّوا عن

(1) البغوي، معالم التنزيل: 3/83.
(2) الرازي، التفسير الكبير: 12/53.
(3) الرازي، التفسير الكبير: 12/53.

مقصودهم حيث لَم يُصِيبُوه، وزعموا أنَّ إلهَهم بشرٌ يأكل، ويشرب، ويبكي، وأنَّه قُتِلَ، وصُلِبَ، وصُفِعَ، فهذا ضلال في نفس المقصود؛ حيث لم يظفَروا به، وضلُّوا عن السَّبيل الموصلة إليه، فلا اهتدوا إلى المطلوب، ولا إلى الطَّريق الموصل إليه، ودعوا أَتْبَاعَهم إلى ذلك، فضلُّوا عن الحقِّ وعن طريقه، وأضلُّوا كثيرًا، فكانوا أدخلَ في الضَّلال من اليهود، فوصفوا بأخصِّ الوصفين، والذي يُحقِّقُ ذلك أنَّ اليهود إنَّما أُتُوا مِن فساد الإرادة والحسد وإيثارِ ما كان لهم على قومهم من السُّحت والرِّياسة، فخافوا أن يذهب بالإسلام، فلم يُؤْتَوْا مِن عدمِ العلم بالحقِّ، فإنَّهم كانوا يعرفون أنَّ محمَّدًا رسولُ الله ﷺ كما يعرفون أبناءَهم، ولهذا لم يُوَبِّخْهم الله تعالى، ويقرِّعهم إلَّا بإراداتهم الفاسدة مِن الكبر والحسد وإيثار السُّحت والبغي وقتل الأنبياء، ووبَّخ النَّصارى بالضَّلال والجهل الَّذي هو عدمُ العلم بالحقِّ[1].

بَلَاغَةُ الْإِطْنَابِ فِي عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ وَعَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ:

أَثَرُ الْعَطْفِ فِي تَكْثِيفِ الْمَعْنَى وَتَكْثِيرِهِ

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ عَطْفٌ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْغُلُوِّ، وَهُوَ عَطْفُ عَامٍّ مِنْ وَجْهٍ عَلَى خَاصٍّ مِنْ وَجْهٍ، فَفِيهِ فَائِدَةُ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَعَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَهَذَا نَهْيٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ الْحَاضِرِينَ عَنْ مُتَابَعَةِ تَعَالِيمِ الْغُلَاةِ مِنْ أَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمُ الَّذِينَ أَسَاؤُوا فَهْمَ الشَّرِيعَةِ عَنْ هَوًى مِنْهُمْ مُخَالِفٍ لِلدَّلِيلِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ غلوُّهُمْ: أَهْوَاءً؛ لِأَنَّهَا كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُونَ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا أَهْوَاءٌ، فَضَلُّوا، وَدَعَوْا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ[2].

بَلَاغَةُ الِاسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

شِدَّةُ انْحِرَافِ النَّصَارَى عَنِ الْحَقِّ

قَوْلُهُ: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾، فَهَذَا ضَلَالٌ آخَرُ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ الَّذِي ضَلُّوا عَنْهُ

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 2/30 - 32.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/290.

هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالسَّوَاءُ الْمُسْتَقِيمُ، وَقَدِ اسْتُعِيرَ لِلْحَقِّ الْوَاضِحِ، أَيْ: قَدْ ضَلُّوا فِي دِينِهِمْ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ، وَضَلُّوا بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ[1]، ونُكْتَةُ الِاسْتِعَارَةِ بيانُ عظيمِ ضلالِهِم؛ حيثُ انْحَرَفُوا عن واضِحِ الطَّريق وبَيِّنِهَا.

دِلَالَةُ اللَّامِ فِي (السَّبِيلِ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

دِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا دِينَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا هُوَ

اللَّامُ في ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ من قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ لِلْعَهْدِ العلميِّ، ويجوزُ أن تكون للكمالِ، أي: السَّبيلُ الكاملُ، ولا منافاةَ بين الوجهين؛ إذِ المرادُ سبيلُ الحقِّ المعهودُ وهو دينُ الإسلَامِ، وهو السَّبيلُ الكامل الذي لا سبيلَ في الحقيقةِ إلَّا هو[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/291.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/259.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»